المبحث الأول

في ترجمة قيس بن عاصم، ويشتمل على:

- اسمه ونسبه.
- حلمه وكرمه.
- إسلامه ووفادته إلى رسول الله ﷺ.
- استعمال النبي ﷺ له على قومه.
- مشاركته في قتال المرتدين.

اسمه ونسبه:

قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن مِنقر بن عبيد بن مُقاعس واسمه الحارث[١] بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميميُّ السعدي.[٢]

---

(١) قال ابن منظور: "بنو مقاعس بطن من بني سعد سمي مُقاعسا؛ لأنه تقاعس عن حلف كان بين قومه، واسمه الحارث، وقيل: إنما سمي مُقاعساً يوم الكُلاب؛ لأنهم لما التقوا هم وبنو الحارث بن كعب تنادى أولئك يا للحارث! وتنادى هؤلاء: يا للحارث! فاشتبه الشعاران، فقالوا: يالمقاعس". لسان العرب (٦/ ١٧٨)، لجمال الدين محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت.

وانظر أيضا: كتاب النقائض (١/ ١٥١)، لأبي عبيدة معمر بن المثنى، دار الكتاب العربي، بيروت.

وتهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢٤/ ٥٨)، للحافظ يوسف بن عبد الرحمن المزي (ت٧٤٢هـ) تحقيق: بشّار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٠هـ، ١٤١٣هـ.

(٢) طبقات خليفة ص (٤٤)، لخليفة بن خياط العصفري (ت: ٢٤٠هـ) تحقيق: أكرم بن ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية: ١٤٠٥هـ.

جمهرة النسب ص (٢٣٢).

يكنى أبا علي، ويقال: أبو قبيصة،[١] ويقال: أبو طلحة[٢].

❁❁❁❁❁

(١) طبقات خليفة ص (٤٤).

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣/ ١٢٩٤، للإمام يوسف بن عبد الله ابن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ)، عناية علي البجاوي، مكتبة نهضة مصر القاهرة.
تهذيب الكمال ٢٤/ ٥٨.

حلمه وكرمه:

قال ابن حبان: حدثنا أبو حمزة محمد بن يوسف بن عمر بنسا، حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدَّورقي، حدثنا عبد الله بن صالح العجلي قال: سمعت ابن أبى عتبة يقول: قيل للأحنف بن قيس التميمى، ممن تعلَّمت الحلم؟ قال: من قيس بن عاصم التميمى، أتاه آتٍ وهو محتبٍ، فقال: ابن أخيك قتلَ ابنك! قال: عصى ربه، وفَتَّ عَضُده، وقطع رحمه، جهزوه، وما حَلَّ حبْوته، فمنه تعلمت الحلم[1].

قال ابن قتيبة: قيل للأحنف: ما أحلمَك؛ قال: تعلمت الحلم من قيس بن عاصم المِنقري، بينا هو قاعد بفنائه محتبٍ بكسائه، أتته جماعةٌ فيهم مقتولٌ ومكتوفٌ وقيل له: هذا ابنك قتله ابن أخيك. فوالله ما حل حبوته حتى فرغ من كلامه، ثم التفت إلى ابن له في

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص (٣٥١)، للحافظ ابن حبان التميمي، تحقيق: عادل عبد الجواد، مكتبة الباز، مكة المكرمة، الطبعة الخامسة: ١٤٢٢هـ.

المجلس، فقال له: قم فأطلق عن ابن عمك ووار أخاك، واحمل إلى أمه مائةً من الإبل فإنها غريبة، ثم أنشأ يقول:

إني أمـــرؤٌ لا شـــائن حســـبي ... دنـــس يغـــيره ولا أفـــن
مـــن منقـــرٍ في بيـــت مكرمـــة ... والغصن ينبت حولـه الغصـن
خطبـــاء حـــين يقـــول قـــائلهم ... بـــيض الوجـــوه، أعفـــة لســـن
لا يفطنـــون لعيـــب جـــارهم ... وهـــم لحفـــظ جـــواره فطـــن

ثم أقبل على القاتل فقال: قتلت قرابتك، وقطعت رحمك، وأقللت عددك، لا يبعد اللهّ غيرك[١].

قال المزي: وفد على النبي ﷺ في وفد بني تميم سنة تسع، فأسلم. وقال النبي ﷺ: "هذا سيد أهل الوبر"[٢]. وكان عاقلاً حليماً، سمحاً، جواداً.[٣]

---

(١) عيون الأخبار ١/ ٢٨٦، لأبي محمد عبد الله ابن قتيبة، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٣هـ.

وانظر أيضاً: الاستيعاب ٣/ ١٢٩٥.

(٢) سيأتي تخريجه.

(٣) تهذيب الكمال ٢٤/ ٥٨، وانظر: الاستيعاب ٣/ ١٢٩٥.

كرمه:

كان قيس ﷺ كريم النفس نديَّ اليد باسط الكفِّ اشتهر بالجود والكرم وعفة النفس، وقد مدحه زيد الخيل الطائي ﷺ بكرمه وجوده.

وفي حديثه الطويل كما عند البخاري في الأدب المفرد: "فقال -أي الرسول ﷺ- "كيف تصنع في المنيحة"؟ قال : إني لأمنح المئة، قال: "كيف تصنع في الطَّروقة"؟ قال: يغدو الناس بحبالهم، ولا يوزَعُ رجل من جمل يختطمه، فيمسك ما بدا له، حتى يكون هو يرده، فقال النبيُّ ﷺ: "فمالُكَ أحبُّ إليك أم مالُ مواليك"؟ قال : مالي. قال: "فإنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت، أو أعطيت فأمضيت، وسائره لمواليك"، فقلت: لا جَرَم، لئن رجعت لأقلنَّ عددَها"[1].

---

(١) الأدب المفرد ص (٣٢٩)، ويأتي تخريجه. الأدب المفرد للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ) عناية محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٠٩هـ.

قال ابن سعد: وكان سيدا جودا [١].

ومن شعر قيس بن عاصم قوله:

أيـا بنـةَ عبـد الله وابنـةَ مالـكٍ ... ويابنةَ ذي البردين والفرس الورد

إذا ما صنعت الزّاد فالتمسي لـه ... أكيلاً، فإني لست آكلـه وحـدي

أخا طارقا أو جـار بيـت فـإنني ... أخاف مذمَّات الأحاديثِ من بعدي

قال الأعلم: ذو البردين عامرُ بن أحيمر بن بهدَلَةَ بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم.[٢]

وكيف يسيغُ المـرءُ زاداً وجـارُه ... خفيفُ المعى بـادي الخصاصـةِ

وللموت خيرٌ من زيـارة باخـل ... يلاحظُ أطراف الأكيل على عمد

وإني لعبد الضيف مـا دام ثاويـاً ... وما فيَّ إلا تلك من شِيمةِ العبدِ [٣]

---

(١) الطبقات الكرى (٧/ ٣٦)، لمحمد بن سعد البصري (ت:٢٣٠هـ) دار صادر، بيروت.

(٢) الحماسة ٢/ ٩٦٩. (شرح حماسة أبي تمام)، للأعلم الشنتمري، تحقيق علي المفضل حمّودان، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ.

(٣) الحماسة ٢/ ٩٧٠.

قال الدكتور نوري القيسي: "إن حاتماً الطائي وكعب بن مامة الإيادي، وقيس بن عاصم ... لم يكونوا إلا أمثلة من عشرات الأجواد الذين حفل بهم تاريخ العرب، فرسموا في صفحاته أروع آيات البطولة".[١]

وقال زيد الخيل الطائي ﷺ وهو يمدح قيس بن عاصم:

ألا هل أتى غوثاً ومازن أنني ... حللتُ إلى البيضِ الطوال السواعدِ

إلى الواخذِ الوهابِ قيس بن عاصم ... له قادحا زندى سنان بن خالد[٢]

قال ذوالرمة:

كأن أباها نهشلٌ أو كأنهم ... بشقشقة من رهط قيس بن عاصم[٣]

وقال الفرزدق:

ومالك بيت الزِّبرقان وظله ... ومالك بيت عند قيس بن عاصم[٤]

---

(١) الفروسية ص (١٣٣).

(٢) النقائض ٢/ ٧٥٣ عناية: زهير فتح الله، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٥م.

(٣) الديوان ص (٥١٣).

(٤) النقائض ٣/ ٧٥٣.

قال ابن عبد البر: "ومن جيد قوله:

إني امـــرؤ لا يعـــتري خلقـــي ... دنـــــس يفنـــــده ولا أفْـــــنُ

مـــن منقـــرٍ في بيـــت مكرمـــةٍ ... والغصن[1] ينبت حوله الغصـن

خطبـاء حـين يقـول[2] قـائلهم ... بـيض الوجـوه أعفـة [3] لسـن

لا يفطنـــون بعيـــب جـــارهم ... وهـم لحسـن[4] جـواره فطـن[5]

❁❁❁❁❁

(١) في الحماسة "والفرع".

(٢) في الحماسة "يقوم".

(٣) في الحماسة "مصاقع".

(٤) في الحماسة "لحفظ".

(٥) الاستيعاب ٣/ ١٢٩٥، ١٢٩٦، الحماسة ٢/ ٩٤٢.

إسلامه ووفادته إلى النبي ﷺ:

أسلم قيس بن عاصم ﷺ في السنة التاسعة من الهجرة، وكان من رؤساء قومه الذين وفدوا على النبي ﷺ وقد أثنى عليه النبي ﷺ بقوله: "هذا سيد أهل الوبر"[(١)] فشرح الله صدره للإسلام، وحسن إسلامه ﷺ.

قال ابن إسحاق: ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود

قال: "فقدم عليه عطارد بن حاجب بن زُرارة بن عُدُس التميمي في أشراف بني تميم ... وفي وفد بني تميم قيس بن عاصم أخو بني سعد.[(٢)]

وقال خليفة: سنة تسع، وفيها قدم على رسول الله ﷺ وفود العرب، فقدم عطارد بن حاجب بن زرارة والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم.[(٣)]

---

(١) سيأتي تخريجه .

(٢) سيرة ابن هشام ٤/ ٢٧٤، ٢٧٥. (السيرة النبوية) لابن هشام، تحقيق: د/ همام عبد الرحيم سعيد، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ.

(٣) تاريخ خليفة ص (٩٣).

وقال ابن عبد البر: قدم في وفد بني تميم على رسول الله ﷺ وذلك سنة تسع، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: "هذا سيد أهل الوبر"[١].

وقال ابن الأثير: وفد على رسول الله ﷺ في وفد بني تميم منهم: قيس بن عاصم، وعمرو بن الأهتم، وعطارد بن حاجب، وغيرهم، فأجازهم رسول الله ﷺ فأحسن جوائزهم وذلك سنة تسع.[٢]

قال خليفة فيمن نزل البصرة من أصحاب رسول الله ﷺ: "قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد، أمه أم أصفر بنت خليفة بن جرول بن منقر"[٣].

---

(١) الاستيعاب ٣/ ١٢٩٥.

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة ٤/ ١٢٩٤، لعلي بن محمد الجزري ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، دار الفكر.

(٣) الطبقات ص (١٨٠)، لخليفة بن خياط، تحقيق: د. أكرم العمري، دار طيبة، الطبعة الثانية: ١٤٠٢هـ.

وعن قيس بن عاصم السعدي أنه قدم على النبي ﷺ فاستخلاه[١]، فأمره النبي ﷺ أن يغتسل بماء وسدر فاغتسل[٢].

قال ابن سعد: تسمية من نزل البصرة من أصحاب رسول الله ﷺ قيس بن عاصم ... وكان قيس قد حرّم الخمر في الجاهلية ثم وفد على رسول الله ﷺ في وفد بني تميم، فأسلم، فقال رسول الله ﷺ: "هذا سيد أهل الوبر" وكان سيداً جواداً[٣].

أقول: كان له دارٌ بالبصرة، لكن لم يكن مستقراً فيها، وسكناه في منازل قومه في اليمامة وشرق الجزيرة.

استعمال النبي ﷺ له على قومه:

كان ﷺ من عمال النبي ﷺ في جباية الصدقات، فقد استعمله النبي ﷺ على مقاعس والبطون من بني سعد.

---

(١) فاستخلاه: أي اجتمع معه في خلوة (اللسان ١٤/ ٢٣٨) .

(٢) حديث صحيح يأتي تخريجه في حديث قيس.

(٣) الطبقات ٧/ ٣٦.

قال خليفة: "تسمية عماله – أي الرسول ﷺ على الصدقات: الزبرقان بن بدر على عوف والأبناء، قيس بن عاصم على مقاعس والبطون"[١] [٢].

قال الطبري: "وفرق رسول الله ﷺ عماله في جميع البلاد التي دخلها الإسلام عمالاً على الصدقات، قال حدثنا ابن حميد، قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر قال: كان رسول الله ﷺ قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات، على كل ما أوطأ الإسلام من البلدان وبعث مالك بن نويرة على صدقات بني حنظلة، وفرق صدقة بني سعد على رجلين منهم "[٣].

قال ابن إسحاق: "وكان رسول الله قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان، ... وبعث مالك بن

---

(١) في الأصل وبطون أسد وغطفان. وهو خطأ.

(٢) التاريخ ص (٩٨).

(٣) تأريخ الرسل والملوك (٣/ ١٤٧)، للإمام محمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ) تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية.

نويرة على صدقات بني حنظلة، وفرق صدقة بني سعد على رجلين منهم، فبعث الزِّبرقان بن بدر على ناحية منها، وقيس بن عاصم على ناحية "[١].

❁❁❁❁❁

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ٣٢٨.

مشاركته في قتال المرتدين:

كان قيس بن عاصم من الثابتين في الإسلام، وله قدم صدق في قتال المرتدين في شرق الجزيرة والبحرين.

قال ابن الأثير: " ذكر ردة البحرين .... وخرج الحطم بن ضبيعة أخو بني قيس بن ثعلبة في بكر بن وائل فاجتمع إليه من غير المرتدين ممن لم يزل مشركاً حتى نزل القطيف وهجر، واستغوا الخط ومن بها من الزط والسيابجة، وبعث بعثاً إلى داريـن، وبعث إلى جواثا فحصر المسلمين ... وكان سبب استنقاذ العلاء بن الحضرمي إياهم أن أبا بكر كان قد بعثه على قتال أهل الردة بالبحرين، فلما كان بحيال اليمامة لحق به ثمامة بن أثال الحنفي في مسلمة بني حنيفة، ولحق به أيضاً قيس بن عاصم المنقري وأعطاه بدل ما كان قسم من

الصدقة بعد موت النبي ﷺ، وانضم إليه عمرو والأبناء، وسعد بن تميم والرِّباب أيضاً لحقته في مثل عدته..." [١].

وقال الطبري: "واستقبله قيس بن عاصم فأكرمه العلاء، وخرج مع العلاء من عمرو وسعد والرباب مثل عسكره، واقتحموا عسكر المرتدين، فوضعوا السيوف فيهم حيث شاءوا، واقتحموا الخندق هُراباً، فمتردٍّ، وناجٍ، ودهِشٍ، ومقتول، أو مأسور، واستولى المسلمون على ما في العسكر؛ لم يفلت رجل إلا بما عليه ؛ وأفلت أبجر بن بجير العجلي، وبَعِل ودُهِش[٢] الحطم، فمر به عفيف بن المنذر أحد بني عمرو بن تميم فنفح رجله فأطنها[٣] من الفخذ،

---

(١) الكامل في التأريخ لابن الأثير الجزري (٢/ ٣٦٩، ٣٧٠)، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ.

(٢) بعل: دهش وخاف فلم يدر ما يصنع، القاموس (١٢٤٩). القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت: ٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٧هـ.

(٣) نفحه بالسيف: تناوله به. أطنها: قطعها، القاموس (٣١٣، ١٥٦٦).

وتركه، فقال: أجهز علي، فقال: إني أحب ألا تموت حتى أمضك ومر به قيس بن عاصم، فقال له هل لك في الحطم أن تقتله فمال عليه فقتله ، فلما رأى فخذه نادرة ، قال : واسوأتاه! لو علمت الذي به لم أحركه؛ وخرج المسلمون بعد ما أحرزوا الخندق على القوم يطلبونهم، فاتبعوهم، فلحق قيس بن عاصم أبجر - وكان فرس أبجر أقوى من فرس قيس - فلما خشي أن يفوته طعنه في العرقوب فقطع العصب ، وسلم النسا "[1].

❁❁❁❁❁

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٩.

وفاته ورثاؤه:

توفي قيس ﷺ سنة سبع وأربعين[١]، وكان لفقده أثر كبير في نفوس قومه، وقد رثاه عدد منهم.

قال عبدة بن الطيب يرثي قيس بن عاصم المنقري :

عليك سلام الله قيس بنَ ... ورحمتُه ما شاءَ أن يَتَرَحَّمَا
تحيَّة من غادرته غرض الرَّدَى[٢] ... إذا زار عن شحطِ بلادك سلّما
فما كان قيس هُلكُه هُلكُ واحد ... ولكنَّه بنيان قومُ تهدما[٣]

قال الأعلم الشنتمري: قيس بن عاصم المنقري سيد أهل الوبر، وكان عبدة يعوِّل عليه فرثاه.

وقوله: ما شاء أن يترحَّما: أي عليك سلام لله كثيراً كما نقول: أصابنا الغيثُ ما شاء الله أن يصيبنا، أي أصابنا كثيرا.

---

(١) تاريخ ابن كثير ٤ / ٣٣

قلت: والذي يظهر لي انه توفي في آخر خلافة عثمان رضي الله عنه.

(٢) في الاستيعاب: تحية من أوليته منك نعمة.

(٣) الحماسة ١/ ٥٦٧، ٥٦٨، الاستيعاب ٣/ ١٢٩٦.

وقوله: إذا زار عن شحط: الشحط: البعد أي إذا زار بلادك على عادته سلَّم على قبرك مجيبا لك مظهرا للحزن عليك.

وقوله: فما كان قيس هلكه: يقول: كان مأوى للضياف والمساكين وعزا للعشيرة والمستجيرين، فلما هلك عمهم هلاكه فكأنهم هلكوا أجمعون، وهلك عزُّهم، وضرب البنيان والتهدم مثلا لذلك. وهذا بيت من أرثى ما قالته العرب[1].

وقال ربيعة بن طريف العنبري يرثي قيساً:

فلا يبعدنك الله قيس بن عاصم ... فأنت لنا عز وعزيز ومعقل
وأنت الذي حربت بكر بن وائل ... وقد عضَّلت منها النباح وثيتلُ
غداة دعت يا آل شيبان إذ رأت ... كراديس يهدين ورد محجلُ
وظلت عقاب الموت تهفوا عليهم ... وشعث النواصي لجمهنَّ تصلصل[2]

❁❁❁❁❁

(١) الحماسة ١/ ٥٦٧، ٦٥٨.

(٢) النقائض ٢/ ١٠٣٤.